المحاضرة8: المنهج الوصفي والمنهج التوثيقي

أولا: المنهج الوصفي:

1/ تعريف المنهج الوصفي:

المنهج الوصفي أحد أبرز المناهج المهمة المستخدمة في الدراسات العلمية و رسائل الماجستير والدكتوراة ،و"**هو طريقة لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين تمنح الباحث القدرة على وضع أطر محددة للمشكلة، ويتم استخدام ذلك في تحديد نتائج البحث**".

2/ المنهج الوصفي وتطوره:

يعد "فرديناند دي سوير" هو الموضح والمؤسس للمنهج الوصفي، حيث اهتم بدراسة الظواهر الوصفية أو اللغوية، هادفًا بذلك إلى التعرف على الخصائص الواضحة لها، وكان من نتاج ذلك الحد من استخدام المنهج التاريخي في الأبحاث الاجتماعية؛ ويعتبر العرب القدامى من أوائل من استخدموا المنهج الوصفي، غير أن ذلك تم بطريقة عشوائية إلى حد ما دون تنظيم منهجي، ويتضح ذلك جليًا في الأدب العربي والأشعار في العصر الجاهلي التي اعتمدت على أسلوب الوصف، فنرى من يصف البيئة العربية بما تتضمنه من حروب وصحارى وصراعات قبلية وصفًا دقيقًا.

تطور الوضع بعد انتشار الإسلام اعتمادًا على الصرح اللغوي الضخم الذي ساقته العلوم الدينية، وظهر ذلك في المنتجات الأدبية في العصرين الأموي والعباسي... إلخ؛ كما تطور المنهج الوصفي في الوقت الحالي، وأصبح وسيلة مهمة لدراسة الأبحاث العلمية، ومن الممكن أن نقول إن وضع الأسس العلمية للمنهج الوصفي جاء نتيجة الحاجة إلى وسائل حاسمة لتوصيف ما يواجهه المجتمع الحديثة من ظواهر ومشكلات في شتى الميادين.

3/مميزات المنهج الوصفي:

يتميز المنهج الوصفي بطريقته الواقعية في التعامل مع مشكلة البحث، نظرًا لوجود الباحث في قلب الميدان أو المكان المتعلق بالدراسة؛ ويعد ذلك المنهج مناسبًا لموضوعات البحث العلمي التي تدور حول الظواهر أو المشكلات الاجتماعية والإنسانية، ومن ثم الحصول على الوصف الكيفي الذي يتمثل في سلوك خارجي للظواهر، والوصف الكمي الذي يتمثل في الوصول إلى أرقام تتعلق بالمشكلة أو الظاهرة، أو أرقام لها دلالة في علاقة الظاهرة بالظواهر المحيطة؛ يحد المنهج الوصفي من تدخلات الباحثين؛ لذا تظهر النتائج بصورة موضوعية؛ نظرًا لاشتقاقها بطريقة دقيقة، فعلى سبيل المثال لا يقف المنهج الوصفي على بعض الأسئلة التي تقبل تأويلات مختلفة، مثل: هل من الممكن قول....؟، فهو يهتم بما هو موجود وواضح للعيان.

يساعد المنهج الوصفي في إجراء المقارنات بين طبيعة الظاهرة في أكثر من مكان، فعلى سبيل المثال في حالة دراسة مشكلة الطلاق يمكن مقارنة الظاهرة في أكثر من دولة؛ كما يساهم المنهج الوصفي في اتخاذ القرارات الصحيحة المتعلقة بالدراسة من خلال تقديم الإيضاحات والشروح الخاصة بها؛ ويمكن عن طريق المنهج الوصفي أن تتم صياغة الآراء والخبرات لوضع الخطط والتصورات المستقبلية لمواجهة بعض الظواهر.

4/ الأدوات المستخدمة في المنهج الوصفي:

من أبرز الأدوات التي تستخدم لإجراء المنهج الوصفي:

-استمارة الاستبيان: وتعد استمارة الاستبيان من أشهر الأدوات المستخدمة في المنهج الوصفي، وهي أسئلة تتم صياغتها من جانب الباحث العلمي؛ للحصول على معلومات وبيانات تتعلق بمشكلة البحث، ويوجد عديد من أنواع الاستبيان، فهناك الاستبيان المحدد الذي يقيد المبحوث بإجابات محددة، مثل (موافق) أو (غير موافق)... وهكذا، أو الاستبيان غير المحدد الذي لا يقيد المبحوث، ويمكن من خلاله أن يقوم بإدراج الإجابة بكل حرية، وفقًا لنوعية الأسئلة التي يسوقها الدارس في استمارة الاستبيان، وقد تشتمل الاستمارة على مزيج من الأسئلة محددة الإجابات أو المفتوحة.

-استخدام الملاحظة: وهي طريقة مُجدية في المنهج الوصفي، وفيها يقوم الدارس بمراقبة ظاهرة البحث، وتدوين جميع ما يتعلق بها ووصفه وصفًا واضحًا، وتعتمد هذه الطريقة على خبرات الدارس ومهارته في تحديد سلوكيات الظاهرة خلال الملاحظة.

استخدام المقابلة: وهناك كثير من أنواع المقابلات، مثل المقابلة الفردية أو الجماعية، وهي عبارة عن حوار بين الباحث والمبحوث، يستطيع من خلاله الباحث أن يتعرف على المعلومات المفيدة التي تخدم مادة البحث، ومن خلال ذلك يسوق بعض الأسئلة التي تستفز الباحث للإدلاء بتصريحات مهمة في إطار موضوع الدراسة، كذلك يمكن من خلال استخدام المقابلة كأداة للمنهج الوصفي أن يتعرف الباحث على وصف الانفعالات الخاصة بالمبحوث.

ثانيا: المنهج التوثيقي:

1/ مفهوم المنهج التوثيقي:

المنهج التوثيقي، الذي يُسمى أيضًا بالمنهج الوثائقي، هو أحد مناهج البحث العلمي، ويمكن تعريفه على أنه "جمع السجلات والوثائق التي يتمحور محتواها ويكون مرتبطًا بموضوع البحث والمشكلة التي يتم تناولها فيه، ومن ثم العمل على تحليل محتوى هذه السجلات والوثائق، من أجل التوصل إلى أدلة وحجج يمكن توظيفها لبرهنة وإثبات الإجابات عن الأسئلة في البحث، وعلى الباحث عند جمع السجلات والوثائق توخي الدقة والانتباه إلى محتواها وارتباطه بالبحث"، كما يُعرف المنهج التوثيقي على أنه "رجوع الباحث إلى ما يتوفر من مراجع ومصادر موثوقة، والتي تتضمن معلومات ومحتوى يتناول موضوع بحثه، ويجب أن يتمتع هذا المحتوى بالدقة ويساعد الباحث في تحقيق النتائج المرجوة من البحث".

2/ خطوات تطبيق المنهج التوثيقي:

إنّ المراجع والمصادر التي يتم الرجوع إليها في المنهج التوثيقي تكون "معاصرة وحديثة" أساسية وثانوية على حد سواء، وتطبيق هذا المنهج يجري من خلال اتباع عدد من الخطوات والتي تشمل ما يلي: -**تحديد مصادر البحث:** الخطوة الأولى هي قيام الباحث بتحديد المصادر والمراجع التي سيجمع منها المعلومات، وهذه المصادر تكون أساسية وثانوية، بما في ذلك الكتب، والسجلات، والإحصاءات الرسمية، والتقارير، والوثائق، وغيرها.

–تقويم مصادر البحث: في هذه الخطوة يقوم الباحث بتقييم المصادر وما تتضمنه من معلومات للتأكد من مصداقيتها، وأنها دقيقة وموثوقة ويكون تقويم مصادر البحث من خلال إخضاعها للنقد الخارجي، عبر التأكد من صحة المصدر وموثوقيته والنقد الداخلي من خلال التأكد من المعلومات والمحتوى في هذه المصادر.

–تفسير المعلومات: أو تحليل المعلومات، وتحظى هذه الخطوة بأهمية كبيرة في البحث العلمي؛ فهي التي يقوم الباحث من خلالها بالحصول على البراهين والأدلة من المعلومات التي جمعها، ويستخدمها للإجابة عن أسئلة البحث.

–جمع أطراف موضوع البحث: الخطوة الأخيرة من خطوات المنهج التوثيقي هي "جمع أطراف موضوع البحث"، بالإضافة إلى عرض النتائج والتوصيات، وتشمل أطراف موضوع البحث: ملخص البحث، ونتائج البحث، وتوصيات البحث، إلى جانب التوصيات المتعلقة بالبحوث المستقبلية.

3/ تطبيقات المنهج التوثيقي:

بعد تناولنا لخطوات تطبيق المنهج التوثيقي، نأتي إلى تناول التطبيقات الخاصة بهذا المنهج، والمقصود بتطبيقات المنهج التوثيقي هنا "الأهداف" التي يجري من أجل تحقيقها تطبيق هذا المنهج، وتشمل هذه التطبيقات ما يلي:–وصف الظاهرة: استخدام المنهج التوثيقي لتوضيح العلاقة وتوضيح مقدارها/ –التوصل إلى استنتاجات بخصوص الأسباب التي تقف وراء سلوك محدد/– التعرف على الأثر الذي تتعرض له الاستجابات الخاصة بأفراد العينة نتيجة لعامل الزمن.

4/ مميزات وعيوب المنهج التوثيقي

هناك مجموعة من المميزات والعيوب التي يتسم بها المنهج التوثيقي، والتي نستعرضها في النقاط التالية: تشمل مميزات المنهج التوثيقي الشمولية في بحث الظاهرة؛ فالمنهج التوثيقي "شامل" عندما يتعلق الأمر بتناوله للظاهرة التي يتمحور حولها البحث العلمي، وتتمثل هذه الشمولية بما يقوم به الباحث من وصفٍ للظاهرة، وتوضيحٍ للعلاقة، والتوصل لاستنتاجاتٍ بخصوص "الأسباب ذات الأثر"، ويقوم الباحث بهذه الأمور في وقتٍ واحد؛ ومن المميزات الأخرى للمنهج التوثيقي عدم الاعتماد على التحليل الكمي؛ حيث إنّ عدم اعتماد المنهج التوثيقي على التحليل الكمي له فوائده والتي تشمل تسهيل أسلوب تطبيق المنهج، بالإضافة إلى تعزيز ارتباطه بالواقع .

أما عيوب المنهج التوثيقي، فهي تتمثل بتأثره "بذاتية الباحث"؛ حيث يمكن أن تظهر هذه الذاتية عند بحثه عن المصادر، أو عند تقييمها وإخضاعها للنقد أو تفسيرهاوتحليلها، والمقصود بذاتية الباحث هنا أن يقوم بهذه الأمور من منظوره الشخصي، وهذا قد يؤدي به إلى غض الطرف عن بعض البراهين والأدلة التي تتعارض مع آرائه.